معاول الهدم . . .

إذا أردنا إصلاح الأسرة وجب علينا أن نبحث أولا عن العوامل التى تسبب النزاع الزوجى، فنعالج مشاكل الأسرة بعلاج هذه العوامل التى تعتبر بمعاول الهدم ، وهذه فى اعتقادى خير وسيلة لمعالجة المشاكل التى نشكو منها ، إذ لا يمكن علاج الداء قبل البحث عن مواطنه .

فاذا نحن بحثنا عن العوامل التى تسبب التفرقة بين الزوجين ، وتثير النزاع فى البيت ، وجدنا فى مقدمة هـذه العوامل عدم التوافق بين الزوجين ، واختلاف نظرة كل منهما الى الحياة ، فما يبدو فى نظر الزوج رذيلة يجب النهى والنأى عنها ، تعده الزوجة فضيلة يجب التمسك بها ، وما يعتبره الزوج نافلة لا ضرورة اليه ، يبدو فى نظر الزوجة فرضا لا بد منه ، وباختلاف نظرة كل منهما الى الأمور ، وتباين آرائهما ، ينشأ النزاع الزوجى ويدب الخلاف وتكثر المناقشة والمجادلة دون أن يقتنع أحدهما برأى الآخر أو يؤمن به ، وهذه بوادر الانفصام، إذ أن التوافق الروحى بين الزوجين ، شرط من الشروط التى يجب توافرها، ومن واجب كل زوج وزوجة، أن يحرص على تعرف ميول شريكه ، ليستطيع أن يرضيه دائما، وأن يتجنب ما يثير سخطه وغضبه ، وأن يعمل كل منهما من جانبه على بقاء الصفاء العائلى وعدم تكديره بالنزاع ، فان كلمة طيبة من أحد الطرفين ، قد تزيل أسباب سوء التفاهم ، وتقرب وجهتى النظر، وتعيد الهدوء والصفاء ... كما أن كلمة جارحة يعثر بها اللسان فى ساعة من ساعات الغضب ، قد تكون حدا فاصلا بين الزوجين ، وهنا يجب أن أشير الى أن من واجب الزوجين أن يعملا فيما بينهما على تسوية كل خلاف ينشأ بروح مشبعة بالمحبة ، والحرص على بقاء عرى الزوجية .

ومن أسباب عدم التوافق بين الزوجين، اصرار بعض الأسر على عدم السماح لطالب الزواج برؤية خطيبته قبل إتمام مراسم الزواج ، وهذه فكرة خاطئة، وخيمة العاقبة، إذ أن الشرع الحنيف قد أباح لطالب الزواج رؤية عروسه قبل الزواج لأنها الشريكة التى ستقاسمه الحياة، فيجب أن يأنس كل منهما فى شريكه التوافق، والا كانت حياتهما جحيما، لاختلاف الآراء ، وتباين الميول ...

* * *

ويلعب المال دورا خطيرا فى مشاكل الزواج ، فهذا رجل يقترن بفتاة طمعا فى مالها، فاذا ما تم الزواج ، أو بعبارة أقرب الى الصحة والواقع ، إذا ما تمت الصفقة ، ولمست الزوجة طمع الزوج فى ثروتها دب الخلاف بينهما ، وانتهى الأمر إلى الفراق ...

وهذا الزوج آتاه الله بسطة فى المال ، ولكنه لا يحسن التصرف فيه ، فينفق بسخاء فى أبواب لا تستحق الإنفاق ، بينما يغل يده عن النواحى الهامة ، فتضيق الزوجة ذرعا بالحياة ، وتنفصم عرى الزوجية ...

وهذه زوجة تسرف فى إرهاق زوجها بطلباتها ، حتى إذا ما أهمل يوما فى ناحية من النواحى انقلب حبها بغضا ، وقلبت له ظهر المجن ...

وهذا زوج يريد أن يحرم زوجته من كل شىء ، ويخشى أن يؤول إليها بعض ثروته ، فيقترن أخرى تستأثر بثرائه ...

وهذه زوجة تريد أن تنفق كل دخل الزوج ، خشية أن يبقى للزوج ما يشجعه على الزواج من غيرها ، فلا يجد الزوج سبيلا إلا بالتخلص منها ...

وهذا زوج يعيش مع زوجته عيشة الكفاف ، وهى راضية قانعة ، حتى إذا ما بسط الله له فى الرزق طغى وكبر ، وتزوج من غيرها ، ونسى حق الزوجة التى قاسمته الضراء ، وشاركته المحن ، ووقفت إلى جانبه فى ساعة العسرة ...

وهكذا نرى المال فى أحايين كثيرة نقمة على الرجل أو المرأة ، فلا نغلو حين نعتبر المال معولا من معاول الهدم والتقويض .

* * *

ومن أهم العوامل التى تسبب النزع الزوجى اشتراك الزوجين فى المسكن مع أهل الزوج أو أهل الزوجة مما يثير نزاعا لا ينقطع ، وهذه مشكلة من المشاكل التى يجب أن تحسب لها حسابا كبيرا ، واستقلال الزوجين فى المسكن يجعلهما فى مأمن من هذا النزاع الذى يهدد حياتهما ، وإذا لم يكن فى مقدور الزوج الاستقلال فى المسكن فلا أقل من ضرورة الاستقلال فى حياته الداخلية : منعا للنزاع .

* * *

وتنازع السلطة عامل آخر من عوامل النزاع بين الزوجين ، فالزوج يريد أن يكون صاحب الكلمة العليا فى البيت والزوجة تريد أن تفرض سلطانها وتبسط نفوذها لتشعر وجودها ، وهنا تتصادم الرغبتان ، وفى مقدور الزوجين تقسيم الاختصاص فيما بينهما تقسيما يكفل احترام كل منهما للآخر ، منهما شريكان متضامنان ، يتعاونان على ما فيه إسعاد البيت وهناؤه .

* * *

أنتقل بعد ذلك إلى التحدث عن عامل آخر من عوامل الهدم فى كيان الأسرة ، وهو أثر الوشايات والأكاذيب التى يختلقها الناس ، والاشاعات الباطلة التى تطلقها ألسنة السوء والمكايد التى يدبرها من لاخلاق لهم من الأصدقاء ، فكم من زوجة بريئة راحت ضحية اشاعة كاذبة ، وكم من بيت تقوض بمماول الأصدقاء ! .

والوشايات والاشاعات الكاذبة من أقبح الرذائل المتفشية فى مجتمعنا . نخلقها ، ونزخرفها ، ثم نروجها ، ونشيعها هنا وهناك . فى المجالس والمنتديات . تلتقطها الآذان ثم تذيعها الألسن فى كل مكان ، دون أن تتحرى حقيقتها ، أو تتبين صحتها .

أعراض الناس مضغة فى الأفواه . توصم وتلوث وينسب إليها ما هى منه براء. وأسرار البيوت تذاع وتفشى دون حساب ! .

هؤلاء المنافقون يدخلون البيوت باسم الصداقة الزائفة ، فيفرقون بين المرء وزوجه ، و يترددون على البيت حتى إذا ما حانت لهم الفرصة نفثوا سمومهم ،وقوضوا صروح الزوجية.

حذار من هذا اللون من الأصدقاء ! .

وأوصدوا فى وجوههم الأبواب .

* * *

تأتى بعد ذلك مشكلات أخرى ، فالزوج يشكو عدم اهتمام الزوجة بشؤون البيت وتدبيره واعتمادها على الخدم الذين لا يحسنون التصرف اعتمادا كليا ، وهو محق فى ذلك ، لأن الزوجة مطالبة برعاية البيت وتدبير شؤونه ، و لزوجة تتبرم من انصراف الزوج عن البيت وتمضيته معظم الوقت خارجه ، وهى محقة فى ذلك ، والزوج يشكو من اسراف الزوجة فى تدليل الأبناء وتشجيعهم على اللعب فى غيبته ، والزوجة تشكو من سوء تصرف الزوج فى الانفاق وايثاره الكمالى على الضرورى ، وكلها مشاكل يستطيع كل منهما علاجها بشىء من الحكمة والتبصر ، حرصا على بقاء عرى الزوجية ، وعدم انفصالها .

ومن الحقائق التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا ان الأبناء هم الضحية دائما فى كل مأساة زوجية ، وهم أول من من يتحدر إلى الهاوية و يتجرعون كأس الذل والمهانة .

هؤلاء الأبناء الأبرياء هم الذين يدفعون الثمن . ويدفعونه غاليا باهظا . لأنهم يدفعون حياتهم ثمنا فى المأساة . فهم التركة المشتركة بين خصمين كانا بالأمس القريب شريكين فأصبحا خصمين . هم التركة الحائرة ، كريشة فى مهب الريح ، لا تعرف لها مستقرا ، فقد يتخطفها الطير ، أو تهوى بها الريح فى مكان سحيق .

لهم الله هؤلاء الأبرياء ، الذين يخرجون إلى الحياة ليستقبلوا النزاع ، ولا ذنب لهم ولا جريرة .

لهم الله هؤلاء التعساء الذين أظلمت الدنيا فى وجوههم ، وراحوا ضحية الحمق والجهل ، يخفى عليهم أقرب الناس إليهم . . وأساء إليهم أعز الناس عليهم ! ! ...

* * *

هـذا عرض سريع لأهم مشاكل الأسرة ، ووسائل علاجهـا ، أرمى من ورائه إلى تحديد مواطن الداء ، فان تحديد مواطن الداء وتشخيصه خير ما يقربنـا من أهداف الإصلاح ... .

عيسى متولى

" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون " .

"من الذكر الحكيم"